الصحةُ والطبُّ في الكتاب المقدّس

بقلم الحكيم امين الجميّل

٢

(تتمة)

١ الصحة والوقاية في الكتاب المقدس (تابع)

الاخلاق والفضيلة وقايةٌ وصحة؛ والرذيلة بليّةٌ وعلّة؛ تأثير النفس في الجسم

لم يُعرف، لصيانة الجسم، أثبت من نفع الطهارة والقناعة والسلم والاعتدال والحلم والصفح والاطمئنان، وَفقاً للوصايا الالهية وطبقاً للمواعيد المقدسة. فحيثما يسُد السلام الباطني تكن السلامة. وبضدّه ان الفسق والحقد والغضب والحسد والطمع والبخل لآفاتٌ تقرض أصول العافية، فضلًا عن الرفاهية. ان تُرِدْ فهم ذلك تأمل رجلًا في ثورة الغضب تَرَ اعصابه تضطرب وترتجف ورأسه يحتقن وعضلاته تتوتّر او ترتخي، وجلده يحمرّ او يعرق، وقلبه يخفق، وهضمه يقف، ومفرَزات غدده الباطنية تفسد او تجفّ. وقد أظهرتْ ذلك جلياً (في معدة الكلب) اختباراتُ باولو: ففورَ حدوث الغضب كانت تنضب عصارة المعدة الهاضمة، وبضدّه اذا شاهدتْ عينه شيئاً شهياً طيباً.

والمعاينات في البشر طبّنا علّمتنا ان الهموم والغموم سموم؛ وان الاضطرابات النفسية والعواطف البشرية غير الحميدة تجعل البنية اكثر قبولًا للامراض واقلّ مقاومة لها. واليك كلام «الكتاب» تجده هنا او هناك في بعض الاسفار[1]: «الغمّ في قلب الانسان يصرعه»، «الامل المطول يمرض القلب، والبغية الحاصلة شجرة حياة»؛ «القلب المسرور دواءٌ ناجع والروح المنكسرة تجفف العظام»؛ «صلاح القلب حياة الاعضاء والحسد نخر العظام»؛ «فافرح ايها

1) سفر الامثال، والجامعة، وابن سيراخ، والمزامير الخ.

الشاب في صبائك وليطب قلبك في ايام شبابك وسر في طرق قلبك وفي مرأى عينيك ».ولكن ما أحكم الشروط المقيّدة :« لكن اعلم ان هذه كلّها سيُحضرك الله لتُدان عليها» ؛ «فأقص الهمّ عن قلبك وباعد السوء عن جسدك» ؛ «تمتّع ايام حياتك الفانية بالعيش مع المرأة التي أحببتها » ؛ « اكفف عن الغضب ودع السخط ؛ اما الودعاء فيرثون الارض ويتلذّذون بكثرة السلام.»

وايّ طبيب اي صحّي كتب ما هو أصدق وأحكم مما خطّه ابن سيراخ ، الصحّي الكبير:« فان الحزن يجلب الموت وغمّة القلب تحني القوّة كلها » ؛ او مما تقرأه في سفر الجامعة :«فاذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب مسرور اذا كان الله قد رضي عن اعمالك.» ؛ او مما سطّره ايوب:« الغضب يقتل الغبيّ والحسد يُميت الاحمق» ؛ « لا أسير مع من يذوب حسدًا لان مثل هذا لا حظّ له في الحكمة » ، ولا حظّ له من الهناء والصحة.وقد كُتب في ما بعد:«صحة الجسد من قلة الحسد» .

فاذا تدبّرنا ما سبق – ويجب ان نتدبّره – أدركنا وجوبه ؛ وان هذا البناء الصحي العظيم لا يقوم الّا على اساس واحد ، لانه وحده وطيد ، وهو الدين . اي الاطمئنان الى العناية الالهية والاستسلام لها والايمان بخالق علّمنا هو نفسه ان ندعوه في مطالبنا :« ابانا » الذي في السماوات ، وهو الرحمان القدير ؛ وان نصفح لا الى سبع مرات بل الى سبعة في سبعين» ؛ وكذلك ان نُقصي الهموم: «لا تهتموا بالغد لان الغد يهتمّ بشأنه ، يكفي كل يوم شرّه» ؛ «اعطنا خبزنا كفاف يومنا.» وأن نحبّ المسالمة والسلام: «سلامي اعطيكم » ، «طوبى لفاعلي السلام» ؛ واكّده الرسول: « سالموا جميع الناس قدر ما تستطيعون » ؛ « لا تدع الشمس تغرب على غضبك » ؛ و«لنسلكنّ سلوكًا لائقًا كما في النهار لا بالقصوف والسكر ولا بالدعارة والعهر ولا بالخصام والحسد » .

وايضاً لاستاذنا الصحي بولس الرسول اوامر ونواهٍ يردّدها لاهل فيلبي ولاهل تسالونيكي ، وما هي الا السلامة والعافية للجميع :« افرحوا في الرب كل حين واقول ايضاً افرحوا» ؛ « افرحوا كلّ حين ».بل يبلغ به هذا الفرح ، ذلك البلسم الشافي او الترياق الواقي ، الى ان يكتب لاهل قورنتس :« قد

امتلأتُ تعزيةً وانا فائضٌ بالفرح في جميع مضايقنا » . والرسول يعقوب يحسب «المتجارب دواعي للمسرّة»

واذ كانت الصحة الصحية نفسها بالفضيلة وكان عكسها بالمخالفة والرذيلة لزم حتماً ان نتقيّد ابداً بما يرسمه « الكتاب ».وحبّ الاختصار نقتصر على بعض نصوصه : « طوبى للنقيَّة قلوبهم » ، « اغفروا للناس ليغفر لكم ابوكم السماوي زلاتكم » ؛ « احبّوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم » ؛ « الكبير فيكم فليكن خادماً » . والانجيل طافح بمثل ذلك . وهكذا ايضاً الرسائل : « ان كان احدٌ ممّن يُسمّى اخاً زانياً او بخيلاً او عابد وثن او شتّاماً او سكيرًا او خاطفاً فمثل هذا لا تؤاكلوه » ؛ وله ايضاً : « وان كان احد لا يطيع ما نوصي به في الرسالة لا تخالطوه لكي يخجل » . وبعد ان عدّد بولس لتلميذه تيموتاوس انواع النقائص والرذائل من كبرياء وبخل ودنس وتجديف وعقوق للوالدين ونكران للمعروف والوداد والعهود وحبّ للخصام ونفرة من الصلاح الخ أمرَه : ان يُعرض اي يهرب من هؤلاء . فلْط المحبة والقناعة والصفح والطهارة والشجاعة يحصل الجسم عليه على الهناء والعافية والرفاهية . وفي العهد الجديد خاصةً لك من هذا النوع ما ليس اوفر منه ولا افيد لتقوية القلب ونزاهة النفس فالجسم عن المكاره .

العمل والاستراحة

ليس العمل ضرورياً لاكتساب الرزق وحسب ، بل انه لازم لحياة الانسجة واعتدالها وإحراق فضولها ولتشديد القوى على اختلاف انواعها . فالطاعة للوصيَّة : « بعرَق جبينك تأكل خبزك » ، وهي في اصلها عقاب ، اصبحت بترتيب العناية مقرونةً بجزاء هو العافية . البطالة صدأ البنية كلها ، علاوةً على انها أمُّ الرذيلة ومصدر العلة ومنبت الاوهام : « في جميع اعمالك كن نشيطاً فلا يلحق بك سقمٌ » (ابن سيراخ) ؛ وان سُئل الطبُّ ما هو هذا السقم أجابه : السِمَن ، النقرس ، الرمل ، فالحصى ، والامتلاء وما عن ذلك من بول سكّري وازدياد الضغط (الآفة اللاهج بها الجميع في يومنا) ؟ « فانه لما كنا

عندكم وَصيناكم بهذا انه ان كان احد لا يريد ان يشتغل فلا يأكل . وقد بلغنا ان فيكم قوماً يسلكون على خلاف الترتيب غير مشتغلين بل متشاغلين بما لا يعنيهم » (الرسول بولس) . وما أضبط هذه الملاحظة : ان العاطلين عن العمل يعملون وقد يعملون بكل همة .. ولكن بما لا يعنيهم وينصرفون الى النوافل والتوافه ان لم يكن الى المؤذيات . الشغل يمنع التشاغل بما لا طائل تحته ولا فائدة منه . وله قواعده وشروطه وهي ضرورية: واولها الاستراحة لتجديد القوى. ليس مُفيدٌ للعمل واجادته والمثابرة والالتذاذ كالراحة بعد العناء . وبضده ان أقرب الناس الى انحطاط العزائم وخوار القوى وكثير من الامراض كالترستاني (المرض العصري) اولئك الجاهدون لقواهم غير حافلين بالراحة بأوقاتها ومقدارها (يوماً في الاسبوع) كما في الوصية الالهية) وليلاً في اليوم (الوصية الطبيعيّة) . إن المندفعين بإفراط يقفون ويكبُون قبل سواهم ، ولا تلبث تلك الهمّة ان تتحوّل الى تعب وضنك ووصب . العساكر المجهودة فريسة للاوبئة ، وهي فيهم اشدُّ فتكاً . والاختبار في الحيوان المُتعب أيد ذلك بسديد البرهان: « يا بُنيَّ لا تتشاغل باعمال كثيرة فانك ان اكثرت منها لم تخلُ من ملام ؛ ان تتبّعتها لم تحُشها وان سبقتها لم تنجُ » ؛ « الدرس الكثير يُتعب الجسد.» (سفر الجامعة)

وايضاً ان للمقدرة على العمل ووفرة انتاجه واتقانه والتلذّذ به فالتوقان اليه في مقام النفور منه والوناء من الانصباب عليه ، لا بدَّ من عقلية عالية ونظام عادل ومطمح شريف . الشغل اللذيذ لا يُتعب بل عريح ؛ اما شغل السخرة فكروه ثقيل يأتي بالتعب والكلالة سريعاً ، كما ستقرأه بعد هنيهة .

ومن تصفّح رسائل بولس الرسول يجد فيها دستوراً كاملاً للعمل واثمن الارشاد لاجيائه المثال ، وكلنا من هؤلاء . اسمعوا ايها الاشتراكيون والاباحيون، ايها المنادون بنُصرة العمال والوضعاء وانتم تقودونهم حتماً الى مطامع خرقاء تقتل العناء ، اسمعوا ، اسمعوا: « وليس مرادي ان تكون لغيركم سعةُ ولبعضكم ضيق بل ان تكون المساواة ؛ لكي تَسُدَّ زيادتكم في هذا الدهر نقصانهم وتسدَّ زيادتهم نقصانكم حتى تحصل المساواة ، كما كُتب :

المكثر لم يفضل عنه والمقل لم ينقص عنه » ؛ اسمعوا ما قاله في مكان آخر : « ... فاني قد تعلمت ان اكون قنوعاً في اية حالة كنتُ فيها ؛ فاني في كل مكان وكل شيء قد ألفت ان اشبع وان اجوع . اني استطيع كل شيء في السني يقويني » . فهي الحكمة المشهورة : « اذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما يكون . »

لم يكن يوماً اشتراكية جيدة الا في الكنيسة باول عهدها ، ولن يكون الا بين قوم مبادئهم وغايتهم كما في المسيحيين الاولين اي في الاديار . وهل يمكن ان تحيا في الشيوعية اي البولشفيكية وابوها التحاسد وامها الطمع او الكسل او الغرور ؟ وهل يكون فيها سوى الحقد وخيبة الامل ؟ هل سمع هؤلاء الفوضيون مرة كلاماً من نحو الآتي : « من كان سارقاً فلا يسرق فيما بعد بل فليكدّ ويعمل بيديه ما هو صالح لكي يكون له ما يشرك فيه المحتاج » ؟ ... « خادمين بنيّة صالحة كخدمتكم للربّ لا للناس ، عالمين ان مهما عمل كلٌّ واحد من الخير فسيناله من الرب عبداً كان ام حرّاً » ؛ « وانما نسألكم ايها الاخوة ان تحرصوا على ان تكونوا هادئين تعملون ما يعنيكم وتشتغلون بايديكم كما اوصيناكم حتى تسلكوا سلوكاً لائقاً لدى الذين في الخارج ولا تكون بكم حاجةٌ الى احد » ؛ « كونوا غير متكاسلين في الاجتهاد فرحين من الرجاء صابرين في الضيق مواظبين على الصلاة ؛ باركوا الذين يضطهدونكم ... افعلوا ذلك بالصبر لا بالضجر ... لا تنقسموا ... لا تنغلب للشرّ بل اغلب الشرّ بالخير » . مَن به ذرّة من الاستقامة وحرمة الحق لا يعترف بان هذا هو تعليم الرفاهية والسعادة والصحة ، وما هو سواه هدّامٌ مؤدٍّ اكيداً الى اضطراب النفس وحسرة القلب وسقم الجسم ؟

٢ الامراض والطبابة في الكتاب المقدس

وانه ايضاً لمن أفيد المباحث الوقوف على الامراض في العصور القديمة ومقارنة طبابة تلك الايام بهذه الأزمان . إن تسمعْ موسى يتكلّم عن داء السيلان (التعقيبة) ، ابن الزنى وآفة الشبيبة ، على ما تقدّم ، ويذكر أعراضه

في حدّته وإزمانه (أقطَرَ السائل او احتبس به: النقطة العسكرية)، وإنْ يلفظ اسمه العبريّ وينعته بالنجاسة او يرتب لأذاه وحوله فيأمر باتقائه بأصرم الحيطة والتطهير، تدرك انه هو هو الى الساعة بشكله واطواره، غير انه زاد ذيوعاً وضرراً بنسبة طغيان فساد الاخلاق ونقص العفاف اي الزواج. وإذا نظرنا الى شرّه في عصرنا ظننّا ان دعوة داود[1] على اعدائه (سفر الملوك الثاني) قد حلّت على شبيبة عصرنا.

وقارئ يتتبع هذا البحث يعثر على امراض عديدة نقتصر في هذا المقال على بيان بعضها:

التيفوس

وباء شديد الحمّى هائل العدوى والفتك قد رافق، في كل أدوار التاريخ، الحروب والمجاعات على الاطلاق؛ فهو ابداً ربيبها وأليفها حتى انه يعرَّف بها: وشهداء اللبنانيين بعشرات الالوف بأثناء الحرب الاخيرة عليه شهود. وفي بحثٍ لجمعية الاطباء والصيادلة قد أتينا على عشرين نصاً من «الكتاب» تنادي بأن الوباء في تلك المجاعات والحروب وبتلك الاشكال وبذلك الفتك (كما يتبيّن ايضاً من اسمه العبري المرازي في لغتنا: الدَّبر لجماعة الزنابير والدبار اي وفرة الهلاك) انما هو التيفوس. فقد جاء في سفر تثنية الاشتراع: «يهلكون (الكلام عن الاسرائيليين الذين اغضبوا الله بمعاصيهم) وتفترسهم حمّى ملهبة ووباء مرّ». وفي يشوع بن سيراخ: «النار والبرد والجوع والوباء كل هذه خُلقت للانتقام». وفي ارميا وباروخ وحزقيال وغيرهم من الانبياء تتكرّر وتتعدّد الآيات من نحو الآتية: «وقال لي الربّ: لا تصلِّ من اجل هذا الشعب للخير ... بل افنيهم بالسيف والجوع والوباء»؛ «وأُرسل فيهم السيف والجوع والوباء حتى يفنوا من الارض التي أعطيتها لهم ولآبائهم»؛

[1] «ولا ينقطع من بيت يوآب ذو سيلٍ وأبرص ومتوكّئ على عكاز وساقط بالسيف ومعوز الى الخبز».

« هكذا قال السيد الرب وبالاحرى اذا ارسلتُ اربعة احكامي الشديدة السيف والجوع والوحش الضاري والوباء على اورشليم». ونقرأ في انجيل متى : « ستقوم أمةٌ على أمةٍ ومملكة على مملكة وتكون أوبئة ومجاعات وزلازل في اماكن شتى . »

على العيان او على الشهادة والقرينة يبني القاضي حكمه ، وهكذا يفعل الطبيب او المؤرخ وكل حاكم في امر . ان الحروب والمجاعات وسائر القرائن مكّنتنا ان نميز ما ذُكر اعلاه من الاوباء. ونجهر انه التيفوس (typhus) ، لا ما حصر الاطباء به حديثاً لفظة طاعون (peste bubonique) التي كانت تطلق على كل وباء هائل فتاك . وكم كان يستحيل هذا التمييز قبل علم الجراثيم ! والتيفوس مجهول الميكروب حتى الآن . واما الثاني ، وسببه جرثوم من الشكل المستطيل الى الكروية ، فلا صلة له مباشرةً بالحروب والمجاعات بل بالجرذان التي تنقل براغيثها الجرثوم من عليل الى سليم كما ينقل القمل الداء السابق في مقام البرغوث هنا، او البعوض جرثوم البرداء. ويُشخّص الطاعون صريحاً بالنصوص الآتية من سفر الملوك الاول : « وثقلت يد الرب على الاشدوديين فدمّرهم وضربهم بالبواسير في اشدود وتخومها وهاجت القرى والصحارى في وسط ارضهم وتولّدت «الفئران» ؛ وحدث اضطراب موت شديد في المدينة». البواسير للتعذيب لا تُميت ؛ اما الطاعون فللإهلاك الجارف. وكأنه أُوحي الى الاشدوديين فادركوا علّة ذلك . وعليه لمّا همّوا الى التكفير عن خطاياتهم (اغتصاب تابوت الربّ) قدّموا قرباناً مؤلفاً من خمسة « فئران » من ذهب

ضربة الشمس

وعربيّها : الرّعن وهو يحصل كثيرًا في بلادنا اذا لفح الحرُّ واصابت الشمس الرأس[1] فينتج عنه صداع واغماء وحمّى والموت عينه .

---

١) لأحد العلماء اختبار اوضح ان كلباً مرّضناً لاشعة الشمس يسلم اذا ظلّ رأسه في الظلّ . وبعكسه اذا ظُلّل جسمه وسُلّطت الشمس على رأسه .

وامامنا على ذلك لا شاهدان عادلان فقط بل ثلاثة لثلاثة من الاسفار المقدسة : « وبعدما نشأ الصبيّ خرج ذات يوم الى ابيه عند الحصّادين (زمن وقدة الحرّ) . فقال لابيه : رأسي رأسي . فقال للغلام احمله الى أمه فحمله وسار به فبقي على ركبتيها حتى الظهر ومات . »

« وكان منسّى (بعل يهوديت) قد مات في ايام حصاد الشعير فضخد الحرّ رأسه فمات . »

« فلمّا اشرقت الشمس أعدّ الله ريحاً شرقيّة حارّة فضربت الشمس على رأس يونان فغُشي عليه ... »

البُرداء

وتسميها العامّة بالطليانية : ملاريا . وهي اكبر آفات أقاليمنا بل البشرية على الاطلاق .

في ضربات مصر (سفر الخروج) وبغير مكان ، ذُكر فشو البعوض كأداة عقاب من الله . ويستمَد ان العقاب كان بإزعاج البعوض بلدغه فقط او طنينه بل بما يجيء به من عِلل ، شرّها البرداء . ومن الثابت ان لا بعوض الا حيث يأسن الماء وان لا انتقال لجرثوم البرداء الا بلسع البعوض . وبقوّة نور ما تقدّم نُميز البرداء في ما يأتي :

« فقال أهل المدينة لاليشاع : ان موقع المدينة (مدينة اريحا ، وهي قائمة في وسط على أتمّ الملائمة لاستنقاع الماء ، اي منبسط من الارض يمرّ فيه فرع من الاردن) حسنٌ كما يرى سيدي ، الا ان ماءها رديء والارض مجدبة . فسار اليشاع الى منبع الماء وطرح فيه ملحاً وقال هكذا قال الرب : اني قد شفيتُ هذه المياه فلا يكون فيها ايضاً موت ولا جدب فشُفيت المياه » . فما الماء القتّال للناس والنبات — والماء عنصر الحياة والخصب الأوّليّ — الا الماء الساكن؛ فهو على السواء ، يُهلك ببعوضه الانسان ويرطوبته جذور النبات . وبعصر اهميّةُ « المصارف » لا تقلّ عن اهمية القنوات الآتية بمياه السقي . فيتبيّن ان الاعجوبة حصلت بتسييل الماء وجعله جارياً (الملوك الثاني) . ثم نقرأ باشعيا النبي (١٤ :

٢٣) :« اني اقوم عليهم كما يقول رب الجنود واستأصل من بابل الاسم والبقية والذرية والعقب واجعلها ميراثاً للقنافذ- ومستنقعات للمياه واكنسها بمكنسة الخراب » ؛ « اما مستنقعاته (البحر الميت) فلا تصلح بل تترك للملح » (وهي ناشئة عن نهر الاردن ؛ وثمت منها المدد المديد والاذى المديد مما كتبنا عنه طويلاً في « علم الصحة » وبيّنا تعليله .)

واي « مكنسة للخراب » افعل من البرداء ! وهل من محلات افظع من مستنقعات في محالّ حارّة كجوار البحر الميت ، وهو يسفل البحر ٤٠٠ متراً .

ولنا من تاريخ رومة واليونان ، وعندنا من مشاهدات بلادنا الآن ما يفهمنا كيف ان وبال بعض المياه فتك بالسكان حتى الانقراض ، خاصةً بقرب البحار .

البرَص

لا تطيل فيه الكلام في هذه اللمحة مع انه ليس مرض شغل في « الكتاب » مكاناً مثله فخصصناه في درسنا الفرنسي بعدّة بيانات تجدها هناك؛ وقد اضربنا عنه وعنها في هذا المقال ، لانه بعد ان روّع البشرية ، اي روع ، حتى القرون الوسطى ، زال الآن او كاد تاركاً الايذاء لسواه .

الجرَب

في سفر اللاويين ، وفي تثنية الاشتراع ، ذكرٌ لهذا الداء بعينه . ولا نعجب لتحذير الكتاب منه لانه يُعدي كثيراً ويزعج طويلاً ويذيع مديداً ، حيث الزحام والاهمال وفي القرن الماضي عُرف سببه (حُيَيْوين) وعلاجه (الكبريت) . ومن يجهل ان اهمّ أعراضه حكاك يثور في الليل ويبدل راحة النوم بعذاب ؛ ويتأتى عنه بثور وخراريج ؟

ولدن تقصّي سفر ايوب اذا بنا امام بيّنات جعلتنا نعتقد ان مرض بطل الاوجاع كان من هذا البلاء . وعلماء كثيرون الآن وافقونا على هذا الرأي ونشروه في الصحف .

أجل ، أجرَبَ كان ايوب ؛ ومن فمه نحكم عليه : « فاخذ له خزفة

ليحتكّ بها » ؛ « في الليل تنخر عظامي » ؛ « علّي لا تنام » ؛ « وليالي مشقّة قُدِرت لي » ؛ « يتقلّص جلدي ويسيح »

وقد ذهب كثيرون ، ومنهم الآباء اليسوعيون في طبعتهم العربية المشهورة، بان علّة ايوب كانت « داء الفيل » ، وهو مرض يغلب حدوثه في الرجلين فتصيحان بضخامة « ساقَي الفيل » . والحال ان هذا التاعس شكا المزال : « جلدي لصق بعظامي »

غريب فظيع امر هذا المسكين ايوب : فما كفاه ما حلّ به من المصائب في حياته حتى قام بعضهم بعد اربعة آلاف سنة يشهونه بالزُّهري مع علمهم انه داء الفاسقين الزناة ؛ وهو الرجل الذي يلقبه تعالى بالكامل ، المنادي ببراءته من كل انحراف ودنس ، القائل : « ان كان قلبي قد هام بامرأة او كمنتُ على باب قريبي ، فلتطحن امرأتي لآخر وليقع عليها آخرون » . يقولون بذلك متجاهلين ان هذا الداء ، بعكس « السيلان » ، لم نعثر له على اثر في « الكتاب » . ولعله جاء من اميركة بعد كشفها : فسمّي بعد ان اتى به البحّارون اذ ذاك : مرض نابولي ، وعندنا لقّبوه بالافرنجي . . . !

ولما تعذّر هنا البحث في كل ما ورد في الاسفار من الامراض ، وبينها المهمّ حتى في ايامنا كالصرع والعمى ونزف الدم والجنون ولم تكن مهمتنا « للشرق » النزر سوى موجز ، فانا نقتصر على ثلاثة امراض نستشهد عليها العهد الجديد وحده

التهاب دودة الظهر

معروف الآن باسم عالِمَين « Heine-Médin » بحثا فيه مليًا من مدة قرن . لكنه قديم العهد كما سيتبين من الآي الآتية . وهو داء وبائي خبار يبدأ بحمّى ثم يسبّب عادة شلل الاعضاء . وفي السنين الحديثة عاد وطنا : ففي عام ١٩١٦ أُصيب بـه في نيويرك وحدها ١٣٠٠٠ وفي رومانية ١٥٧٦ ، ويغلب حدوثه في الطفولية . وفي التفتيش عنه في « الكتاب » تصادف : « فقدّموا له مخلّعا مُلقى على

سرير» (انجيل متى) ؛ «وكان رجل اعرج[1] من بطن امه يُحمل وكان يوضع كل يوم عند باب الهيكل ليسأل صدقة . . . فقال له بطرس : باسم يسوع الناصري قم وامش .» ؛ ثم نقرأ ايضاً في سفر أعمال الرسل نفسه : « فصادف بطرس في لُدّة رجلاً اسمه اينياس مضطجعاً على فراش منذ ثماني سنين وهو مخلّع . » وفي مكان آخر : « وكان مُقيماً بلسترة ، رجلٌ عاجز الرجلين مُقعَدٌ من جوف أمه لم يمش قط » .

الروماتيزم الحادّ

داء من ضربات البشرية الاشدّ إيلاماً والاكثر شيوعاً والاعظم اذى لانه يخلف العلل القلبية الهائلة . وقد ظلّ بـلا علاج الى عصرنا حيث سُلّط عليه بنجاح باهر الدواء المعروف بساليسيلات السود .

وجعه لا يُطاق ، فأدنى حركة كأنها ضربة مدية ؛ لذلك اتفق ان دُعينا مراراً لاناس قيل انهم مصابون بالشلل . ولم يكن قطّ شلل بل ألمٌ يشلّ . والمشلول حقيقةً السكتة دماغية لا يحسّ بألم بل قد لا يشعر قطعياً . والروماتيزم يغلب حصوله للاحداث (على عكس الشلل الدماغي وهو داء الشيوخ) ومن الذكور بالاخصّ .

وبعد هذا التمهيد ليتصفّح القارئ فقرةً من متى الانجيلي هاك نصها : « ولما دخل كفرناحوم دنا اليه قائد مئة وسأله قائلاً : « يا ربّ ان فتـايَ ملقى في البيت مضروباً بالشلل معذّباً بعذاب شديد .» وانه هنا بكلمات قليلة لنا مدلولات كبيرة تمكننا من تشخيص علّة متى عليها ١٩٠ سنة ، وهي الروماتيزم الحادّ . وبمثل هذا الايجاز بل بأوجز يتضح كنـه داء آخر من شرّ أدوائنا وهو :

الزُحار

وعامّتنا تسميه التمنّي ، او بالطليانيـة دوسنطاريا ، وهو ايضاً بقي الى

١) في القسم الثالث من هذا الدرس تعليق على كلمة « اعرج »

امس يشيع ويُهلك ولا علاج له . وبفضل علم الجراثيم قُسم الى نوعين : نوع قليل الحمّى او معدومها كثير الانتكاس طويل المدّة ينتج عنه خراج الكبد ويغلب وجوده في الشرق ؛ وقد اصبح شفاؤهُ ميسوراً بملاجات فعّالة منها الامتين والياترن وخمر السياروبا وبه صحّ الكثيرون ، وعلّته جرثوم من صنف يفترق كثيراً عن الثاني في عالم المتناهيات صغراً . والنوع الثاني من الزحار تصحبه حمى قوية ، ومظاهره حادّة سريعة ، وهو في الاصل اوروبي بعكس السابق . ولا يكون عنه إزمان ولا خراريج الكبد ولا يُداوي الا بالمصل الخاصّ به .

اما وقد فقهتَ ما تقدم فانك تحكم حالاً وبعد ١٩٠٠ سنة ايضاً بان « ابا بوبليوس وقد اخذته الحمى والزحار فزاره بولس ووضع يديه عليه فبرئ » كان مصاباً بدوسنطاريا من النوع الثاني (اعمال الرسل ٢٨ : ٨) . وقد جرى هذا الحادث في جزيرة مالطة . ولذلك لم نستغرب ما شاهدناه هناك من تكريم الرسول العظيم .

٣ شتى

ولا ريب ان مطالع «الكتاب» يصادف فيه أموراً عديدة وكنوزاً ثمينة ، ليس دينية وفلسفية او طبية فقط بل تأريخية واجتماعية حتى لغوية . من ذلك الكثير : انه اشار غير مرة[1] في العهد القديم الى ما يشار به الآن كثيراً وهو استخدام اليد اليسرى كاليمنى لتصبح مثلها مُجيدةً للشغل بفضل التمرين والممارسة . ومن الفوائد اللغوية نذكر شيئاً على سبيل المثل :

انك تلاقي مراراً في الاسفار عبارة كهذه : « ارض تدرّ لبناً وعسلاً » وبالعبريّة ، وقد تُرجم بالافرنسية (*miel*) وبالعربية عسل ، انما جاء في الاصل هكذا : « دباش » . ولبراهين تُعدّ بالعشرات ولا تُردّ ، لا ندحة عن ترجمة هذه اللفظة بكلمة : دبس ، كما بيّنّاه مطوّلاً في تعليقنا على النصوص الاصلية وفاز بموافقة رجال علم الاصول (*philologie*) .

١) سفر القضاة ٢٠ : ١٦ ، وسفر الاخبار الاول ١٢ : ٢

ولا حاجة بنا الى القول بان الدبس غذاء ثمين بل يجمع المفيد الى اللذيذ وطالما كان له شأنه العظيم في بلادنا . وفي الحرب قام مقام السكّر المعدوم وقتئذٍ . والسكر من افضل الاقوات . وبذلك تفهم اهمية الثمار السكرية كالعنب والتين في التوراة.

وفي الترجمات العربية كما بالافرنسية استُخدمت لفظة اعرج لما يراد به حقيقةً : مشلول مُخلّع او كسيح ، ذلك لتقيّدهم بحرف العبارة الاصلية ، عنيت اليونانية. تأمّل انهم يعبّرون عن رجل عاجز عن الحركة والانتقال على الاطلاق « الا اذا حمله اربعة على سرير » بلفظة : اعرج (اعمال الرسل) . وكذلك قد كُتب في انجيل متى : « العميان يبصرون والعرج يمشون »

ومما يستوجب الاصلاح في طبعة الاميركان وطبعة اليسوعيين (الاحبار ٢١ : ٢٠) إتيانهم بالنصّ على الصورة الآتية : « من كان به عيب فلا يتقدّم ليقرّب خبز الهه اي . . . الاجرب والاحدب ومرضوض الخصى » بالجمع ؛ مع ان للانسان خصيتَين فقط .

ويستوقف النظر ان موسى يُسمّي الداء الفظيع ، صايب الشبان ، من لفظ بالعبرية يفيد كما سُمي بالعربية « الذوبان » اي السيلان . وقد تقدّم الكلام عن لفظه وان اصلها مشترك في اللغتين الساميتين العظيمتين . وقد استعمل داود في مزاميره (٣١ : ١٠) لعلّة اعترت عينيه في بؤسه وحزنه كلمة من اصل واحد مع العربية : عشت ، يعني ساء بصره ليلًا ونهارًا ؛ ومنها الاعشى وعشية وعليه نفضّلها على الترجمة : ذبلت او خسفت عيني .

جعل الله أن ما في « الكتاب » من حكمة وفوائد ، حتى صحية وطبية ، يزيدنا حباً لاسفاره ، وإجلالًا لآياته ، وانقياداً لنيل تعاليمه !